اللّهجات الجزائريّة بين التّباعد والانسجام

أ. عمر شيخه بلقاسم•
جامعة مولود معمري؛ تيزي وزو
omarchekha@gmail.com

الاستلام:2018/04/30 . القبول: 2018/06/01. النشر:2018/10/01

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى إبراز مدى انسجام اللّهجات الجزائريّة مع العربيّة الفصحى وابتعادها عنها، وإظهار أهم خصائصها وأهم العوامل التي أدّت إلى تطورها، حيث قمنا بتسليط الضّوء على بعضها من خلال استقرائها، ثمّ مقارنتها بالفصحى، وقد بيّنا أهم المواطن التي خالفت فيها هذه اللّهجات قواعد اللّغة الفصحى، وقد كانت هذه الدّراسة على عدّة مستويات منها المستوى الصّوتي من خلال إبدال بعض الحروف وتغيّر حركاتها، والمستوى الدّلالي من خلال معرفة المعاني المعجميّة لبعض الألفاظ الفضيحة واستعمالاتها في العاميّة الجزائريّة وأيضا على المستوى التّركيبي بكل أنواعه الاسنادي، والإضافي، والمزجي، وقد اعتمدنا في هذه الدّراسة على المنهج الوصفي الذي ساعدنا على وصف أهم الخصائص اللّغوية للّهجات المدروسة، والمنهج التّاريخي المقارن لمقارنة اللّهجات باللغة الأم، وخلصنا إلى عدّة نتائج بيّنا من خلالها أهم الأسباب التي أدّت إلى ابتعاد اللّهجات الجزائريّة عن اللّغة الفصحى، وأهم العوامل التي حدّت من وتيرة تطورها.

الكلمات المفاتيح: اللّغة الفصحى؛ التّعدد اللّهجي؛ التّباعد؛ الانسجام؛ المعجم اللّغوي؛ الصّفات اللّغوية.

The Algerian Dialects between Disparity and Affinity

Abstract: The present study aims to show how the different Algerian dialects converge to, and diverge from, Modern Standard Arabic (MSA). It also seeks to explore their special characteristics and the various factors that

• المؤلف المرسل: عمر شيخة بلقاسم، omarchekha@gmail.com

have contributed to their development. For that end, a thorough analysis was conducted on multiple linguistic levels: phonetic, semantic, and morphological. Furthermore, a diachronic and synchronic comparison was carried out with MSA in order to shed light on where these convergences/divergences occur and why. The study results revealed a number of factors that have influenced these dialects, ranging from historical factors such as the immigration of several Arabian tribes from the Arabian Peninsula to North Africa, to political factors such as the French colonization of Algeria, to cultural factors, particularly, the direct influence of Tamazight, the language of indigenous Berbers.

Key words: Modern Standard Arabic; dialects; convergence; divergence.

مقدّمة: تَعدُّ اللّهجات المحكيّة في الجزائر ظاهرةً اجتماعية تعكِسُ التَّنوُّعَ اللّغويّ لأفراد المجتمع الجزائري، الذي تتراوح فيه عدد اللّهجات المحكيّة للعربيّة ما يقارب عدد الولايات، تعكس الآداءات المختلفة للعاميّة كلغة منبثقة عن العربيّة الفصحى، وتختلف هذه اللّهجات في ما بينها من حيث خصائصها الصّوتيّة، والصّرفيّة والتّركيبيّة، والدّلاليّة، ما جعلنا نختار الخوض في هذا الموضوع لنحاول الوقوف من خلاله بدراسة مقارنة بين بعض اللّهجات لمناطق مختلفة في الجزائر، والكشف عن مدى إمكانيّة تحقّق الانسجام اللّغوي بين هذه اللّهجات، وسعيا منا إلى تحقيق ذلك، نحاول الإجابة عن مجموعة تساؤلات أهمّها: ما هي أبرز مظاهر التّعدّد اللّهجي في الجزائر؟ وما هي أهم أسبابه؟ وما مدى انسجام وتباعد اللّهجات الجزائرية فيما بينها وبين الفصحى؟

وقبل معالجة هذا الإشكال، حريٌّ بنا في هذا البحث أن نعرف اللّهجة، وأن نُبيّن علاقتها باللّغة، وعند الرجوع إلى المعاجم العربية والبحث في مادة (ل ه ج)، نجد أنّ اللّهجة في اللّغة تحمل عدّة معانٍ منها: اللّهجة هي طرف اللّسان، واللّهجة هي جرس الكلام، واللّهجة هي اللّغة؛ يقول ابن منظور: "واللّهج بالشّيء: الوُلوعُ بِهِ. واللّهْجة واللّهَجة: طرفُ اللّسانِ. واللّهْجة واللّهَجة: جرسُ الكلامِ، والفتحُ أعلى. ويقال: فلان فصيح اللّهْجة واللّهَجة، وهي لغته التي جُبل عليها، فاعتادها ونشأ عليها. الجوهري: لهج، بالكسر، به يلهجُ لهجًا إذا أغري بِهِ فثابرَ عليه. واللّهْجةُ: اللّسانُ، وقد يُحرَّك "[1].

أمّا مفهومها في الاصطلاح العلمي الحديث؛ فهي مجموعة من الصّفات اللّغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصّفات اللّغوية جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللّهجة هي جزءٌ من بيئة أوسع وأشمل تضمّ عدّة لهجات تختلف في ما بينها في عدّة مستويات (صوتيّة، وصرفيّة، وتركيبيّة، ودلاليّة)، ولكلّ منها ما يميزها عن غيرها. وجميع هذه اللّهجات تشترك في مجموعة من الصّفات اللّغوية، والعادات الكلاميّة التي تؤلّف لغة مستقلّة عن غيرها من اللّغات[2]. فاللّهجة في مفهومها البسيط؛ هي تلك الصّفات اللّغويّة التي يتميّز بها أصحاب منطقة عن غيرهم من أبناء تلك اللّغة.

أمّا اللّغة فحدّها كما بيّنه ابن جني بقوله: "أمّا حدُّها فإنّها أصواتٌ يعبّر بها كل قومٍ عن أغراضهم"[3]، وهو بذلك يؤكّد على الطّبيعة الصّوتيّة للّغة، إذ إنّها ظاهرة اجتماعيّة نشأت بسبب حاجة الإنسان إليها لقضاء حوائجه، أمّا في اصطلاح المحدثين؛ فهي مجموعة من اللّهجات التي تنتمي إلى بيئة معينة، والعلاقة بينها وبين اللّهجة، هي علاقة العام بالخاص؛ لأنّ اللّغة تشتمل على عدّة لهجات لكل منها ما يميزها عن غيرها، وجميعها تشترك في مجموعة من الصّفات اللّغوية، والعادات الكلاميّة التي تؤلّف لغة مستقلّة عن غيرها من اللّغات[4].

وتتنوع اللّهجات العربيّة في الجزائر، وتختلف حسب ظروف كل منطقة، لذا يمكننا تقسيمها إلى خمسة أصناف هي كالآتي:

- صنف الشّمال الشّرقي: ويشمل لهجات منطقة الشّمال الشّرقي، قسنطينة وما جاورها.

- الصّنف المركزي (الوسط): خاص بمناطق العاصمة والوسط الجزائري.

- صنف الشّمال الغربي: يوجد في وهران وما جاورها من مناطق الغرب.

- صنف الجنوب الشّرقي: يشمل لهجات كل من الوادي، وبسكرة، والمناطق الجنوبية لكل من تبسة وخنشلة.

- صنف الجنوب الغربي: ويشمل لهجات كل من النّعامة، وتندوف، وبشار وما جاورهم.

وهناك صفات تميز هذه اللّهجات عن بعضها البعض، وهذه الصفات تكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها، وكيفية صدورها. وهي صفات لا تتميز بها عن باقي اللّهجات العربية، "فالذي يفرق بين لهجة وأخرى، هو بعض الاختلاف الصوتي في بعض الأحيان"[5]، فسكان منطقة تبسّة مثلا يقولون في كلمة فسدت: فزدت، بالزاي بدل السّين.

وتتميز بيئة اللّهجة بصفات صوتية خاصة تخالف كل المخالفة أو بعضها، صفات اللّهجة الأخرى في اللّغة الواحدة، غير أنّ اللّهجة قد تتميز أيضا بقليل من صفات ترجع إلى بنية الكلمة ونسجها، أو معاني بعض الكلمات: فَيُروى أنّ بني أسد كانوا يقولون في سُكْرَى، سكرانة، وأنّ بعضًا من بني تميم كانوا يقولون: مديون بدلا من مدين، وجاء في المعاجم العربية أنّ الهِجْرس، تعني القرد عند الحجازيين، وتعني الثعلب عند تميم[6]، ومثل هذا موجود وواضح في كل اللّهجات الجزائرية، فكلمة "أشبح" تعني في لهجة وادي سوف "انظر"، وفي لهجة أصحاب سطيف، تعني "أُشدد بقوة"؛ نقول: أشَبَحْ الحبل؛ أي شِدَّهُ بقوة، ويكون الشّد من الجهتين، وفي لهجة سكان العاصمة الشباح تعني التزيين، شيء مشبوح؛ أي مُزيّن، وفي منطقة القبائل وبالتّحديد منطقة تيزي وزو تعني الجمال، مشبوح؛ أي جميل، إلاّ أنّه، ينبغي ألا تكون هذه الصفات الخاصة كثيرة، تجعل اللهجة بعيدة على أخواتها، وعسيرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى في نفس اللغة. كما أنّ كثرة الصفات الخاصة للهجة ما، واستمرار تطورها، يؤدّي بها إلى فقدان الصفات المشتركة مع لغتها الأم، وباقي اللّهجات الأخرى، إلى أن تستقل بذاتها وتصبح لغة لها لهجاتها الخاصة بها، كما حدث للغة العبريّة، التي انفصلت عن باقي اللّغات الساميّة.

ويتمثل الهيكل اللغوي العام للعامية الجزائريّة في "اللهجات الإقليمية التي تختلف من جهة إلى أخرى، بل أحيانا تختلف من قرية إلى قرية مجاورة لها. وهذه اللهجات تخضع لعوامل لغويّة كثيرة، منها ما ينشأ عن الوراثة الطبيعية، ومنها ما ينشأ عن البيئة والجوار، ومنها ما ينشأ عن الاختلاف النّاشئ عن اختلاف الجنس، واللغة، والطبيعة الفيزيولوجية نفسها، فاللغات تتأثر وتؤثّر، كما يتأثّر ويؤثّر الناطقون بها؛ لأنّها ظاهرة اجتماعية، كما ثبت في العلوم الاجتماعية نفسها"[7]. وقد يصعب حصر الأسباب المؤديّة إلى اختلاف اللّهجات الجزائريّة، إلاّ أنّ منها ما يعود لأسباب تاريخية، ومنها ما يعود لأسباب جغرافيّة، ومنها ما يعود لأسباب سياسية، ولعلّ من أبرزها ما يلي:

- اختلاف اللّهجات العربيّة الجزائريّة، هو اختلاف لهجات القبائل العربيّة التي هاجرت إلى شمال أفريقيا؛ تقول عائشة عبد الرحمن: "والقبائل قد هاجرت بلغتها إلى منازلها الجديدة، فكان أن اختلفت اللّهجات المحليّة للمتعربين باختلاف لغات القبائل التي نزلت بينهم، وأصهرت إليهم، وامتزجت بهم"[8].

- أثر اللّغة الأصلية في الجزائر — الأمازيغيّة - على اللّغة العربيّة، إذ إنّ احتكاك اللّغات بعضها ببعض، له تأثير كبير على الخصائص اللّغويّة لكل منها، وهو ما يؤدّي إلى تغيّر اللغة

وحدوث اللّهجات؛ ويختلف هذا التغيّر من منطقة لأخرى، ومن شخص لآخر؛ يقول ابن جني: "واعلم أنّ العرب تختلف أحوالها في تلقي الواحد منها لغة غيره، فمنهم من يخفّ ويسرع قبول ما يسمعه، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتّة، ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به، ووجدت في كلامه"[9]، ويقول نايف معروف: "أمّا اختلاف هذه اللّهجات بعضها عن بعض، فمردّه إلى اختلاف اللّغات التي غزتها اللّغة العربية في البيئات التي تناولتها الفتوحات الإسلامية، إذ اصطدمت بالفارسيّة في بلاد فارس، وبالسّريانيّة في أطراف بلاد الشّام، وبالقبطيّة في مصر، وبالبربريّة في شمال أفريقيا"[10]. ومعلوم أنّ الأمازيغية في الجزائر لها عدّة لهجات تتوزع على مناطق كبيرة من أرجاء الوطن، فمن بينها: القبائلية، والشاويّة، والتارقيّة، والشلحيّة، والمزابيّة وغيرها، واحتكاك لهجات المهاجرين العرب بكل هذه اللّهجات في اللّغة الأمازيغية، أدّى إلى اختلاف تأثيرها على العربيّة، فتأثير القبائليّة على العربيّة، ليس هو نفسه تأثير التارقيّة على العربيّة، فكل منهما يُحِدث لهجة عربيّة تختلف عن غيرها في مناطق أخرى.

- كما أنّ اتساع رقعة الجزائر وامتدادها، واختلاف البيئات الجغرافيّة فيها، جعل استعمال لهجة واحدة أمرًا مستحيلا[11]، إذ إنّ أماكنها تختلف من منطقة لأخرى جغرافيّا، ففيها الجبال والسّهول والوديان، وفيها الأراضي الشّمالية الصالحة للزّراعة، وفيها المناطق الصّحراويّة القاحلة، ومتى اختلفت البيئة الجغرافيّة فإنّ ذلك يؤدّي إلى اختلاف اللّغة، فإذا انتشرت جماعة لغوية تعيش في مكان معيّن على أرض واسعة تختلف طبيعتها فإنّ ذلك يؤدّي — مع مرور الزّمن - إلى انشعاب لغتها الواحدة إلى لهجات، وإذا كانت البيئة تؤثّر على سكانها جسميّا وخلقيّا ونفسيّا، فإنها تؤثر كذلك على أعضاء النّطق وطريقة الكلام[12].

وهذا العامل الجغرافي يظهر تأثيره بوضوح على المناطق الجنوبيّة في الجزائر، التي تتميز بالاتّساع، والتّباعد بين مناطقها، إذ إنّ البعد بين المناطق يصل في بعض الأحيان إلى مئات الكيلومترات، كما هو الحال في دائرة عين صالح التي تبعد عن مقر ولاية تمنراست بـ 664 كلم. وأيضا دائرة جانت التّابعة لولاية إليزي تبعد عنها بـ 407 كلم، كما تبعد دائرة عين أمناس عن مقر الولاية بـ 245 كلم، وكل هذا التّباعد له تأثير كبير في اختلاف اللّهجات في الجزائر.

- ومن الأسباب أيضا نجد سياسة الحكم التي انتهجها الاستعمار الفرنسي في الجزائر إبّان الاستعمار، حيث فرض مجموعة من الاستراتيجيات، بهدف عزل المناطق عن بعضها البعض؛ يقول أبو القاسم سعد الله: "كما أنّ نظام الحكم نفسه ساعد على عزلة النّاس عن بعضهم، فهو حكم أقليّة غريبة عن أهل البلاد، فظلّت أقلّية متقوقعة على نفسها، ونتيجة لذلك كانت العاصمة عاصمة فقط من حيث المركزيّة السّياسيّة والسّلطة. أمّا ثقافيًّا وحتّى

تجاريًّا فلم تكن هي عاصمة البلاد، كان كل إقليم له عاصمته، وكانت السلطات الإداريّة (المخزنيّة) قد جعلت البلاد تشكّل وحدات (فدراليات) مستقلّة ولكن دون حدود تجاريّة ولا تعليمية. وهذا الوضع كلّه قد ساعد على بقاء اللّهجات مجهولة بالنسبة لبعضها البعض، سواء أكانت لهجات عربيّة، أو غير عربيّة"[13].

وللّهجات الجزائرية خصائص، ومبادئ، وقواعد عامّة تحكُمها، وهي كثيرة جدًّا ولا يمكن حصرها في هذا البحث، وعليه فإنّنا نكتفي بذكر بعضها فقط، ومن أبرز هذه الخصائص ما يلي[14]:

1- أنّهم يحذفون الهمزة في كثير من الأحيان، فينطقونها مسهلة كقولهم للمؤمن: "مومن"، أو أنّهم ينطقونها همزة وصل كما في لفظة الإسلام ينطقونها "الإسلام".
2- أنّهم ينطقون الدّال ذالا، والثاء تاء، ونجد ذلك كثيرا في منطقة الشّرق الجزائري مثل قسنطينة، وميلة، وسطيف. مثل "هدا" بدلا من هذا، ومثل "التّوم" بدلا من الثُّوم.
3- أنّهم ينطقون الغين قافًا كما هو موجود في لهجة المسيلة والجلفة وبعض سكان بسكرة، فيقولون في غير: "قير"، وفي غريبة: "قريبة".
4- أنّهم قد ينطقون هذه القاف نفسها أحيانا، كافًا، أو بين الكاف والقاف، كما عند سكان الساحل الشرقي جيجل وما جاورها ينطقون القاف كافًا دون قلقلة، فيقولون في قهوة " "كَهوة"، وفي عبد القادر: "عبد الكَادر".
5- أنّهم لا يستعملون الاسم الموصول في لهجاتهم، ويستعملون بدله لفظة "اللي" في كافّة الأحوال.
6- أنّهم لا يفكُّون إدغام المضعف في المَواطِن التي يجب أن يفكّ فيها، بل يبقون عليه مُشبعينه بياء ساكنة، فيقولون: "شدّيت" بدلا من "شدَدْتُّ"، و"ردّيت" بدلا من "رددتُّ".
7- أنّهم يميلون إلى نحت الكلمات المتعدّدة وصوغها في عبارة واحدة مختصرة، كما في قولهم: "كيراك ؟" فإنّما جاءت من "كيف أراك ؟".

نموذج تطبيقي:

قبل التّمثيل لظاهرة التّباعد والانسجام في اللّهجات، علينا أن نوضّح بأنّ اللّهجة التي يكون فيها الانسجام من بين اللّهجات الجزائريّة، هي اللّهجة التي تستمد معجمها اللّغوي من

معجم اللّغة العربيّة الفصحى، أمّا التي يتحقق فيها التّنافر أو اللا انسجام، هي اللّهجة التي تبتعد في معجمها اللّغوي عن معجم الفصحى. وقد اكتفينا في هذه الدراسة بنوعين من المستويات، هما المستوى المعجمي، والمستوى التركيبي، فقمنا بانتقاء بعض الألفاظ من بعض اللّهجات الجزائرية، وقمنا بدراستها معجميّا، ثمّ قارنّا بين دلالات هذه الألفاظ، كي نبيّن مدى انسجامها أو تباعدها مقارنة بالفصحى، كما قمنا بدراسة على المستوى التركيبي لبعض الجمل والعبارات في العاميّة، وإليكم النّماذج الآتية:

هناك عدّة عبارات يستعملها الجزائريون بنفس المعنى، وهي كالآتي: إيه، وآي، وهيه، وواه. وتستعمل كل منطقة اللفظة الخاصة بها من تلك الألفاظ، فلفظة **إيه** مثلا؛ التي تعني "نعم"، أو "صحيح"، أو أكمل الحديث/ أكمل العمل؛ هي لفظة يستعملها بعض سكان الجنوب، وتقابلها لفظة **آي** عند سكان مناطق الجنوب الشّرقي، وبالتّحديد لهجة وادي سوف وما جاورها، بينما نجد لفظة هيه عند أصحاب الشّمال الشّرقي، ولفظة واه عند أصحاب الشّمال الغربي، ولمعرفة مدى انسجام هذه الألفاظ أو تباعدها، ننظر في جذورها اللّغوية في المعاجم العربيّة؛ لنعرف الدّلالات المعجميّة لكل لفظة من هذه الألفاظ، ومجالات استعمالها.

إيه: يقول ابن فارس: "أيه: أيهتُ به، إذا صحت به. والتأييه: رفعُ الصّوت. وتقول لمن تستزيده الحديث: إيه، ولمن تأمره قطع الحديث إيهًا[15]. ويقول أيضا: وأمّا الهمزة والياء والهاء، فهو حرف واحد، يقال: أيه تأييها: إذا صوت. وقد قلنا إنّ الأصوات لا يقاس عليها"[16].

ويقول ابن منظور: "إيه" كلمة استزادة واستنطاق، وهي مبنية على الكسر، وقد تنوّنُ. تقول للرّجل إذا استزدته من حديث، أو عمل: إيه، بكسر الهاء. وفي الحديث: أنه أنشد شعر أمية بن أبي الصلت فقال عند كل بيت: إيه"[17]؛ أي أكمل.

وفي معجم اللّغة العربية المعاصرة، إيه: هي "اسم فعل أمر للاستزادة من حديث أو عمل، وما نوّن منه كان نكرة وما لم يُنَوَّن كان معرفة "إيهٍ من حديثك- إيهٍ من عطاءٍ- أُعجب بحديثه فلمّا سكت قال له إيهٍ"[18].

أمّا لفظة هيه؛ فهي لفظة تتطابق مع سابقتها (إيه) في المعنى، وفي الاستعمال في اللّهجات الجزائرية، وهذا التّطابق موجود حتى في اللغة العربية؛ يقول ابن منظور: "هيه بمعنى: إيه، فأُبدل من الهمزة هاء، وإيه اسم سُمّي به الفعل، ومعناه الأمر؛ تقول للرّجل: إيه، بغير تنوين، إذا استزدته من الحديث المعهود بينكما، فإن نوّنت استزدته من حديث ما غير معهود؛ لأنّ التنوين للتنكير، فإذا سكنته وكففته قلت إيهًا، بالنّصب، فالمعنى أنّ أميّة قال

له: زدني من حديثك، فقال له أبو سفيان: كفّ عن ذلك. ابن سيده: إيه كلمة استزادة للكلام"[19].

فانسجام اللّفظتين (إيه) و(هيه) مع بعضهما البعض واضح؛ ويكمن في أنّ كليهما يحاكي الفصحى في الدلالة على معنى "أكمل"، ويبعدان عنها في الدّلالة على معنى "نعم"؛ لأنهما لم يستعملا بهذا المعنى في الفصحى، أمّا معنى "صحيح" فلم تحمله كل من اللفظتين في الفصحى، وهو معنى أُكتُسِب في العاميّة الجزائرية فقط، عن طريق التّطور الدّلالي؛ لأنّ الجواب بهاتين اللفظتين، يكون إجابة عمّا هو صحيح من الاختيارات، وبما أنّ كليهما اكتسب معنى نعم عن طريق لفظة "أي" التي سيأتي ذكرها، استعملتا أيضا بمعنى صحيح؛ والمقصود هو (نعم صحيح)؛ أي أنّ كلا منهما جاء اختصارا لهذه العبارة.

أمّا لفظة أي /آي؛ فهي تعني "نعم"، إلاّ أنّها تختصّ بالمجيء مع القسم، ولا تحمل معنى الاستزادة. قال الله عزّ وجلّ: قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ؛ والمعنى إي والله؛ قال الزجاج: قُلْ إِي ورَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ، المعنى نعم وربي، قال: وهذا هو القول الصحيح، وقد تكرّر في الحديث إي والله، وهي بمعنى نعم، إلاّ أنّها تختص بالمجيء مع القسم إيجابا لما سبقه من الاستعلام[20]. وأي، مثال كي، وأيضا كلمة تتقدّم التفسير؛ تقول: أي كذا، بمعنى يريد كذا[21]، وهي لا تستعمل بهذا المعنى —التفسير- في العاميّة الجزائريّة، كما أنّها لا تعني الاستزادة والاستنطاق، والملاحظ هنا، هو أنّ هذه اللّفظة قد استعملت في العاميّة الجزائرية في غير ما وُضعت له في الفصحى.

واه: عند ابن فارس في معجمه مجمل اللّغة، هي لفظة تستعمل للتّعبير عن التّعجب؛ تقول: واهًا له، إذا تعجبت[22]. قال أبو النجم[23]:

واهًـــا لريَـــا ثم واهًـــا واهَـــا

يا ليت عينَـاهَـا لَنَـــا وفَـاهَـــــا

بثمـــنٍ نُرضـــي بـــه أبَاهَـــــــا

وفي مقاييس اللّغة، الواو والهمزة والهاء: كلمة يقولونها عند استطابة الشّيء: واها له[24].

أمّا في المعجم الوسيط للّغة العربيّة فـ واه: "[كلمة وظيفيَّة]: اسم فعل مضارع بمعنى أتلهّف، أو أتحسّر، أو أتعجب، يكون نكرة إذا نوّن ومعرفة إذا لم ينوَّن، "واهَ على ما مضَى! - واهًا لمشهد الأزهار!"[25].

ونلاحظ هنا أنّ هذه اللّفظة لم تأتِ في الفصحى بمعنى "نعم"، ولم تكتسب هذا المعنى إلاّ في العاميّة عند أهل الغرب الجزائري، إلاّ أنّها انسجمت مع الفصحى وباقي اللّهجات في الدلالة على استطابة الكلام وطلب الاستزادة منه، وعلى الرّغم من أنّ بعض هذه الألفاظ ترجع جذورها إلى الفصحى، وأنّ بعضها استعمل بنفس الاستعمال في الفصحى، إلاّ أنّ استعمال كل لهجة، لفظة تختلف عن لفظة أخرى في لهجة أخرى، يعتبر انسجامًا؛ لأنّ الانسجام التّام بين اللّهجات، يكون باتحادها في استعمال اللّفظ ومعناه معًا، وليس بأحدهما فقط.

سبق وأن ذكرنا أنّ الانسجام والتّباعد بين اللّهجات الجزائرية، يكمُن في مدى قربها وبعدها عن الفصحى، ومن مظاهر ابتعاد اللّهجات الجزائريّة عن الفصحى في المستوى التّركيبي، نجد مخالفتها لها في قواعد التركيب، ففي التركيب الإضافي مثلا، نجد "أنّهم لا يصطنعون الإضافة العربيّة المباشرة، كأن يقولوا مثلا: "شعب الجزائر"، وإنّما يتوصلون إلى ذلك بعبارة "ديال"، أو "نتاع". والعبارة الأولى أشيع في لهجات المغاربة منها في لهجات الجزائريين. فعبارة كتابي يعبّرون عنها بقولهم: الكتاب انتاعي"[26]، وهذا غير موجود في الفُصحى، إلاّ أنّ هذا "لا يقوم مقام القاعدة الكليّة الجامعة، فإنّهم كثيرا ما يعبّرون عن هذا المعنى تعبيرًا سليمًا، فيستعملون "ياء المتكلّم"، و"كاف الخطاب الضميريّة"، ومن أمثالهم المعروفة في الغرب الجزائري: أدخل يا مبارك بحمارك"[27]، فنلاحظ هنا أنّ التركيب مطابق لقواعد اللّغة الفصحى.

ومن مظاهر الانسجام في المستوى التركيبي أيضا، نجد استعمالهم للتّركيب المزجيّ من خلال نحتهم لبعض العبارات، ففي بعض الأحيان نجد ظاهرة دمج أجزاء/ مكوّنات جملة في كلمة واحدة، للدّلالة على شيء معيّن، وهذه الظّاهرة موجودة في العربية، وهي "أن يؤخذ من كلمتين فأكثر كلمة واحدة، أو هو: استخراج كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر"[28]، كما في قولهم حيعل، فهي منحوتة من (حيَّ) ومن (على). ومن أبرز أمثلته في العاميّة، استعمالهم للفظة: واشكون؟/ أشكون؟/ شكون؟، وهي عبارات تستعمل للاستفهام عن شخص، أو لطلب المعلومات عليه، كما أنّها تختص فقط بالتّعرف على الأشخاص، فمثلا عندما يُطرق الباب، يقول صاحب البيت للطّارق: شكون؟ أي: "من الطّارق؟" هذا للمخاطب، وتستعمل أيضا بمعنى "من هو؟" لمعرفة الغائب. وعندما نحاول تأصيل هذه الكلمة، لا نجد لها تفسيرا إلاّ من خلال أنّها منحوتة من عبارة (أيُّ شيءٍ يكون؟).

ومن مظاهره أيضا قولهم: "مِنه؟" بكسر الميم، وهي لفظة مرادفة للفظة "شكون؟"، وتحمل معها نفس المعنى، وهذه الكلمة هي أيضا منحوتة من أداة الاستفهام: (من)، وضمير الغائب المنفصل: (هو) مع حذف الواو، وباعتبار أنّه ليس كل نحت في العربية صحيح، وأنّ الضمير المنفصل لا يكون متصلا، وأنّ أحدهما لا يحل مكان الآخر، فإنّه يمكننا القول: إنّ هذا النّحت خاطئٌ من الناحية اللّغوية في العربيّة الفصحى؛ لأنّه لا يجور أن تتّصل أداة الاستفهام (من) بالضمير المنفصل (هو)؛ لأنّ الاتصال لا يكون إلاّ للضمير المتصل فقط وليس للمنفصل، ولهذا يقال: "إنّ الضمير المتصل عدوّ الضمير المنفصل، لا يجتمعان أبدا، يقول الضمير المتصل للضمير المنفصل: كلُّ محلّ يصلح لك فإنّه لا يصلح لي، فيقول الضمير المنفصل له: وأنا كذلك كلُّ مكان يصلح لي فإنّه لا يصلح لك"[29]، وهذا أبلغ من قول الشّاعر[30]:

كـأنّي تنـــوينٌ وأنـــتَ إضـــافة ٭ فـــأين ترانـــي لا تَحِـــلّ مَكَـــاني

إلاّ أنّ اللهجات في العاميّة لها قواعدها اللّغوية الخاصة بها، وهي التي تضبطها، وعليه يبقى هذا النّحت صحيحا في العامية دون الفصحى؛ لأنّ العاميات كلّها خروقٌ لقواعد اللغة الفصحى، وإلاّ لما سُمّيت عاميّة، ويرى بعض الدّارسين أنّ "اللّهجات واقع ومستوى لغوي أدنى، واستعمال وظيفي تخفيفي لابدّ منه، ولا تعمل على التخلف اللّغوي مطلقا، ولم نجد مشكلة اجتماعية أدّت إلى خراب المجتمع من وجود اللّهجات"[31]. وتبقى هذه اللّهجات منسجمة مع بعضها البعض، ومع لغتها الأم ما دامت تستعمل قواعدها، وأدواتها، وآلياتها في الخطاب ونظم الكلام.

ومن مظاهر النّحت في العاميّة الجزائريّة أيضا، نجد لفظة: ضُرْكَا التي تعني: الآن، أو حالا، أو حاليًّا. وعندما نبحث في التأصيل اللّغوي لهذه الكلمة في العربيّة، لا نجد لها تفسيرا إلاّ من خلال أنّها كلمة منحوتة، وأنّ "أصلها ضَرْوَكْتْ، وهِي إدغام لعبارة "ذَا الوَقْتْ". صيغ أخرى: ضُرْكَا، دُرْكَا، ضَرْوَكْ، ضُرْكَاتِيكْ، دُوقَا"[32]؛ أي هذا الوقت، إلاّ أنّ هذه اللفظة غريبة بعض الشيء، ولا تستعمل إلاّ في لهجات شمال إفريقيا فقط، ومنهم من يستعملها بحرف الضاد (ضُرْكْ)، ومنهم من يستعملها بحرف الدّال (دُرْكْ، دُوْقَا)، كما أنّ لها صيغ صرفيّة مختلفة، منها: ضُرْكَا/ دُرْكَا/ ضَرْوَكْ/ ضُرْكَاتِيكْ/ دُوقَا، وهذه اللفظة ثقيلّة بعض الشيء على اللسان، وأبرز ما يدل على ثقلها هو أنّها نُحتت، فلم تُنحت إلاّ لِتخفَّ وتسهُل في النّطق، وإلاّ لَمَا نُحتت، ونرى أنّ كلمة (تَوْ/تَوّه)، التي يستعملها أصحاب الجنوب الشّرقي، أقلُّ منها حروفًا، وأكثر انسجامًا وأُلفة، وأخفُّ نُطقًا؛ لأنّ حرف التّاء أيسر في النُّطق من حرف الضّاد.

خاتمة: تناولنا في هذا البحث بعض مظاهر الانسجام والتباعد بين اللّهجات الجزائرية، وبين اللّغة العربيّة الفصحى، وأبرزنا أهم الأسباب التي أدت إلى التّباعد، وخلصنا إلى مجموعة من النتائج، منها:

أنّ اللّهجات العاميّة في الجزائر تستمدّ انسجامها من مدى صلتها باللّغة العربيّة الفصحى، باعتبارها اللّغة الجامعة بين كل هذه اللّهجات، بحيث كلما كانت اللّهجات العاميّة على صلة باللغة الفصحى كانت أقرب إلى الانسجام، وكلما ابتعدت عن اللغة الفصحى كانت أبعد عن الانسجام وأقرب إلى التّنافر.

تعددت الأسباب المؤديّة إلى انقسام اللّغة العربية في الجزائر إلى لهجات مختلفة، بين أسباب تاريخية تمثلت في اختلاف لهجات القبائل العربيّة، التي هاجرت إلى شمال أفريقيا، وهو ما أدى إلى اختلاف التأثير على اللغة العربية في الجزائر، وأخرى جغرافية تمثلت في اتساع رقعة الجزائر وامتدادها، واختلاف البيئات الجغرافيّة فيها، وهو ما جعل استعمال لهجة واحدة أمرًا مستحيلا، وأدّى إلى التّعدد اللهجي.

ولاحظنا أيضا أنّ للعوامل السّياسية دور مهم في حدوث اللهجات وتعدُّدها في الجزائر، ولعلّ من أبرز هذه العوامل، سياسة الحكم التي كان ينتهجها الاستعمار الفرنسي في الجزائر إبّان الاستعمار، حيث فرض مجموعة من الاستراتيجيات، تهدف إلى عزل المناطق عن بعضها البعض، وهو ما أدى إلى انقطاع التواصل اللّغوي بين هذه المناطق.

إنّ الحصيلة اللغويّة الفصيحة للشّعب الجزائري في لهجته في تزايد مستمر بعد الاستقلال؛ أي إنّه أصبح يميل إلى استعمال ألفاظ العربية الفصحى في محادثاته، وذلك نظرا لانتشار اللّغة العربيّة الفصحى في العديد من المجالات كالتعليم، والصحافة بكافة أشكالها المكتوبة والمنطوقة، فهناك كثير من الأميين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، تعلموا ألفاظًا وعباراتٍ فصيحة عن طريق التّلفاز.

تفتقد اللّهجات العامية في الجزائر إلى مزيد من البحث والدّراسة، لأنّ دراستها عنصرٌ مهمٌّ في البحث اللّغويّ، يمكن من خلاله فهم كيف تنوّعت اللغة العربية الفصحى إلى لهجات؟ وكيف تعدّدت طرق التّعبيرِ فيها؟ وهو ما يُمكِّننا من فهم قواعدها والقوانين التي تحكمها أكثر فأكثر.

الهوامش:

[1]- لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ، ج2، ص 359.
[2]- ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة-مصر، ط3، 2003م، ص 15.
[3]- الخصائص، ابن جني أبو الفتح عثمان، تح: محمد علي النّجار، دار الكتب المصريّة، القاهرة-مصر، (د.ط)، 1376هـ-1957م، ج1، ص 33.
[4]- ينظر: المقتبس من اللّهجات العربيّة والقرآنيّة، محمد سالم محيسن، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية-مصر، (د.ط)، 1986م، ص7، 8.
[5]- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص 16.
[6]- ينظر: المرجع نفسه ص 16.
[7]- العاميّة الجزائرية وصلتها بالفصحى، عبد المالك مرتاض، الشركة الوطنيّة للنّشر والتوزيع، الجزائر-الجزائر، (د.ط)، 1981م، ص 7.
[8]- لغتنا والحياة، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط2، (د.ت)، ص26.
[9]- الخصائص، ابن جني، ج1، ص 383.
[10]- خصائص العربية وطرق تدريسها، نايف معروف، دار النفائس، بيروت-لبنان، ط1، 1985م، ص 56.
[11]- ينظر: تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله، دار المغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1998م، ج8، ص 16.
[12]- ينظر: اللهجات العربيّة نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة-مصر، ط2، 1414هـ-1993م، ص41.
[13]- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله، ص 16.
[14]- ينظر: العامّية الجزائريّة وصلتها بالفُصحى، عبد المالك مرتاض، ص 11-15.
[15]- مجمل اللغة، ابن فارس، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط2، 1406هـ-1986م، ج1، ص 108.
[16]- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق-سوريا، (د.ط)، 1399هـ-1979م، ج1، ص 167.
[17]- لسان العرب، ابن منظور، ج13، ص 474.
[18]- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون، عالم الكتب، القاهرة-مصر، ط1، 1429 هـ-2008م، ج1، ص 145.
[19]- لسان العرب ابن منظور، ج13، ص552.
[20]- المصدر نفسه، ج14، ص58.
[21]- ينظر: المصدر نفسه، ج14، ص 61.
[22]- ينظر: مجمل اللغة، ابن فارس، ج1، ص 913.
[23]- المصدر نفسه، ج1، ص 913.
[24]- ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج6، ص 80.
[25]- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ج3، ص 2391.
[26]- العامّية الجزائريّة وصلتها بالفُصحى، عبد المالك مرتاض، ص 13.

[27]- المرجع نفسه، ص 13.

[28]- فقه اللغة مفهومه موضوعاته قضاياه، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض-السعودية، ط1، 1426هـ-2005م، ص 269.

[29]- الدّرة النحوية في شرح الأجروميّة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، القاهرة-مصر، ط1، 1432هـ-2011م، ص 303.

[30]- المرجع نفسه، ص 303.

[31]- في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، صالح بلعيد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر-الجزائر، (د.ط)، 2008م، ص 25.

[32]- ينظر: معجم اللّهجة الجزائرية على الرّابط التالي:
https://ar.mo3jam.com/term/%D8%B6%D8%B1%D9%83#Algerian. تاريخ المشادة: 15-07-2017.